

الخصائص

وكلام العرب لمن عرفه وتدرّب بطريقها فيه جارٍ مجرى السحر لَطَافًا وإن جسا عنه أكثر من ترى وجفا .

ومن ذلك أن يرد اللفظان عن العالم متضادين غير أنه قد نصّ في أحدهما على الرجوع عن القول الآخر فيعلم بذلك أن رأيه مستقرّ على ما أثبتّه ولم ينفيه وإن القول الآخر مطّرح من رايه .

فإن تعارض القولان مرسلين غير مبيانٍ أحدهما من صاحبه بقاطع يحكم عليه به بحث عن تاريخهما فعلم أن الثاني هو ما اعتزّمه وإن قوله به انصراف منه عن القول الأوّل إذ لم يوجد في أحدهما ما يُمّاّز به عن صاحبه .

فإن استبهم الأمر فلم يعرف التاريخ وجب سبّ المذهبين وإنعام الفحص عن حال القولين فإن كان أحدهما أقوى من صاحبه وجب إحسان الظنّ بذلك العالم وأن ينسب إليه أن الأقوى منهما هو قوله الثاني الذي به يقول وله يعتقد وإن الأضعف منهما هو الأوّل منهما الذي تركه إلى الثاني فإن تساوى القولان في القوة وجب أن يُعتقد فيهما أنهما رأيان له فإنّ الدواعي إلى تساويهما فيهما عند الباحث عنهما هي الدواعي التي دعت القائل بهما إلى أن اعتقد كلاّ منهما .

هذا بمقتضى العُرف وعلى إحسان الظن فأمّا القطع الباتّ فعندنا علامه وعليه طريق الشافعيّ في قوله بالقولين فصاعداً وقد كان أبو الحسن ركّاباً لهذا الثّبيح آخذاً به غير محتشم منه وأكثر كلامه في عامة كتبه عليه وكنت إذا